

الأرض جمعت أطيب الكور من القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقية وهي الصلة  
والعائد بين شرق المعمور وغربه وأهلها من أقوى العناصر ذات الحضارة القديمة  
المستفيضة كأن لها أيامها الفر العجلة وفيها العرب والفينيقيون والحثيون والروم  
والبابليون والآشوريون والكلدانيون والأرمن واليهود.

### بين العرب والفرس

من أشهر القصائد الاجتماعية العربية قصيدة لقيطو بن يعمر الأيادي ينذر قومه غزو  
كسري إياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسري فقطع لسان لقيط وغزا إباداً. قال  
ابن دريد في كتاب الاشتقاق الذي نشره سنة 1854: ومن رجالهم لقيط بن معبد  
صاحب القصيدة التي أنذر بها إباداً لما غزتهم الفرس وهي:

كتاب في الصحيفة من لقيط ... إلى من بالجزيرة من إباد

يعني جزيرة العرب وله قصيدة أخرى على العين مشهورة. وقد تيسرت لنا عدة  
مطآن ومنها بعض مخطوطات فعارضنا القصيدة عليها منها هنا أصح الروايات  
وأضفنا إليها بعض زيادات وما هي بنصها المعجب:

يادار عمرة من محتلتها لجزعا ... هاجت لي ألهم والأحزان والجدعا

تامت فزادي بذذات الجذع خرعبة ... مرت تريد بذذات العذبة البيعا

بمقلتي خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا

وواضح أشنب الأنباب ذي شر ... كالأقحوان إذا ما نوره لمعا

جرت لما بيننا جبل الشموس فلا ... يأساً مبيناً ترى منهما ولا طعاما

طوراً أراهم وطوراً لا بينهم ... إذا تواضع خدر ساعة لمعا

يا أيها الراكب المزجي على عجل ... نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعاً

أبلغ إبداً وخلل في سراقهم ... إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا  
يا لطف نفسي إن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس ما اجتماعها  
إني أراكم وأرضاً تعجبون بها ... مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا  
إلا تخافون قوماً لا أبا لكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا  
أبناء قوم تأوؤكم على حنق ... لا يشعرون أضر الله أم نفعا  
أحرار فارس أبناء الملوك لهم ... من الجموع جموع تزدهي القلعا  
فهم سراع إليكم بين ملتقط ... شوكاً وآخر يجني الصاب والسلعا  
لو أن جمعهم راموا بمدته ... شم الشمايخ من ثهلان لا تصدعا  
في كل يوم يسنون الحراب لكم ... لا يهجعون إذا ما غنى شجعا  
خزر عيونهم كأن لحظهم ... حريق نار ترى منه السنأ قطعاً  
ويحققون حيال الشول آونة ... وتنتحون بدار القلعة الرتعا  
وتلبس ثياب إلا من ضافية ... لا تفرعون وهذا الليث قد جمعا  
أنتم فريقان هذا لا يقوم له ... عصر الليوث وهذا هالك صقعا  
وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هم له ظلل تغشاكم قطعاً  
مني أراكم نياماً في بلهينة ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا  
فأشفوا غليلي برأي منكم حسن = يضحي فزادي له ريان قد نقعا  
ولا تكونوا كمن قد بات مقتنعاً ... إذا يُقال له أدفع غمة كنعاً  
يسعى ويحسب أن المال تخلده ... إذا استفاد طريفاً زاده طمعاً  
فقتوا جيادكم واحموا ذماركم ... واستشعروا الصبر لا تشتشعروا الجزعا  
وشروا تلادكم في حرز أنفسكم ... وحرز نسوتكم لا يهلكوا هلعاً

ولا يضع بعضكم بعضاً لثأبه ... كما تركتم بأعلى عيشة نجما  
 اذكروا العيون وراء السرح واحترسوا ... حتى ترى الخيل من تعدانها رجعا  
 فإن عليتم على ظن بداركم ... فقد لقيتم بأمر حازم فزعا  
 هيهات لا مال من زرع ولا أبل ... يرجى لغابركم أن أنفكم جدعا  
 لا يلهكم أبل ليت لكم أبلا ... أن الغدور بخطب منكم قرعا  
 لا تثمروا المال للأعداء أقم ... أن يظفروا بحتوكم والياد معا  
 والله ما أنقلب الأموال منذ بدا ... لأهلها أن أصيبوا مرة تبعاً  
 يا قوم إن لكم من قوم أولكم ... إن ضاع آخره أو ذل واتصفا  
 ماذا يرّد عليكم عزّ أولكم ... مجدداً قد أشفقت أن يفنى وينقطعا  
 فلا تغرنكم دنيا ولا طمع ... أن تعشوا بزماع ذلك الطمعا  
 يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا  
 يا قوم بيضتكم لا بما ... أبي أخاف عليها الأزم الجذعا  
 هو العناء الذي تبقى مذلتة ... إن طار طائرکم يوماً وإن وقعا  
 هو الجلاء الذي يجتث أصلكم ... فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا  
 قوموا قياماً على أمشاط أرجكم ... ثم أزرعوا قد ينال الأمن من فزعا  
 وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
 لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا  
 لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم تكاد حشاه تحطم الضلعا  
 مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها إلى الأعداء مطلقا  
 ما أنفك يحلب در الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعاً

وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا  
 قد أثمر على شزر مريرته ... مستحکم السن لا قحماً ولا ضرعا  
 كمالك بن سنان أو كصاحبه ... زين القنا يوم لاقى الحارثين معا  
 إذ غابه غائب يوم فقال له ... دمث لجنيك قبل النوم مضطجعا  
 فساوروه فألفوا أخوا علل ... في الحرب يحتمل الرئبال والسبعا  
 مستجداً يتحدى الناس كلهم ... لو قارع القوم عن أحسابهم قرعا  
 هذا كابي إليكم والنذير لكم ... لمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعها  
 فقد بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا أن خير العلم ما نفعنا

#### الاكتشافات الحديثة في القطب الشمالي

قالت مجلة مستندات الترقى ما مثله: كانت أول حملة أرسلت لاكتشاف القطب الشمالي سنة 1553 فقام شانسلور ودورفورث وويلوغبي من الإنكليز يحاولون الاهتداء من طريق الشمال إلى طريق بحري للوصول إلى آسيا الشرقية ودعي هذا الطريق بطريق الشمالي الشرقي. وما برح حب اكتشاف القطب آخذاً بمجامع العقول حتى ساق كثيرين إلى تقحم تلك الصحاري الجامدة في الشمال لكشف ما وراءها من أسرار. ولئن فترت المهمة في سبيل اكتشاف القطب من سنة 1650 إلى 1750 بالنسبة لبقية الأدوار إلا أن الرغبة في اكتشافه لم تنقطع منذ ذاك العهد ومهما أعتقد الناس بأن ما ورد في أسطورة قديمة من أن في بحار الشمال جبلاً من المغناطيس كان يدعو السفن والملاحين إلى اكتشافه فتهلك فيه — وهي أسطورة من الأساطير الخيالية العارية من كل حقيقة — فإن القطب الجغرافي من الأرض وإن لم يره

أحد حتى الآن قد أثر في العقول تأثير ذلك الجبل من المغناطيس وكان من قوة الجاذبية إن كانت السبب في هلاك أرواح كثيرة من البشر.

وظل ذلك اللغز القديم بدون حل بعد جهاد لا يوصف مدة من ثلاثة قرون ونصف ووقعت مصائب هائلة في القطب والقطب نفسه لم يكتشف على أن هذه المسألة قد فقدت في العهد الأخير شيئاً كثيراً من شأنها العملي ومع هذا فلم يفلت الباحثين علم ما يصادفونه في القطب ونزعوا من الأفكار ما كان علق فيها مدة قرون من أن وراء تلك الأسوار الكالحة من الجليد مناخاً معتدلاً وعدوه من باطل التقدير وقالوا ليس فيها إلا الجليد والثلوج وبحر عميق فيه بعض جزر تختلف كبراً وصغراً ولا تزال مجهولة وهذا ما يروونه في جوار القطب كما رأوا مثله حتى الآن في الأصقاع القطبية. ولا يرجى من اكتشاف القطب الشمالي حل متكل ينفع العلم وما يتنافس فيه الذاهبون في هذا السبيل لبلوغ القطب ليس سوى عبارة عن ضرب من ضروب الأرتياض اللهم إلا ما كان من حيث الفائدة الجغرافية الصرفة. بيد أن الإنسانية لا يقر لها قرار إن لم يكتب لأحد شجعان الزمان أن يدوس ذلك الطرف الآخر من محور الأرض والظاهر أن هذا اليوم وإن طال العهد على قدومه غير بعيد الآن فإن ما تم من تقدم اكتشافات القطب في الخمس عشرة سنة الأخيرة قد بلغ حداً لم يكن يظن بلوغه حتى قري الأمل بأن ستكافئ تلك المهمة الماضية على جهادها قريباً والزمن حلال كل معضل. يعلم ذلك بأدنى نظر يلقي ببصره على تاريخ القطب والبعثات إليه وما بلغه الباحثون من العرض الشمالي.

قام المقدم بارنتس الهولاندي فبلغ المرة الأولى سنة 1596 الدرجة الثمانية من العرض ومضى الناس زهاء مائتي سنة حتى تيسر لهم أن يتقدموا إلى الإمام ثلاث

درجات أخرى وكان الصياد سكورسي أول من وصل في الحقيقة إلى الدرجة الثالثة والثمانين من العرض سنة 1822 ولم يصل الرحالة مارخام الأمريكي إلا في سنة 1876 إلى شمالي غرانا لندا أي إلى درجة 20 / 83 وبعد ستة سنين بلغ وطنية سو كفود الدرجة 24 / 83 وهكذا مضت ثلاثة قرون ولم يصل البشر إلى أكثر من الدرجة 83 في التقدم نحو القطب ولكن لم تقض أقل من خمس عشرة سنة حتى كثر التقدم في أصقاع القطب وزاد شأنه أكثر من القرون الثلاثة الأخيرة فكان الرحالة نانسن أعظم فاتح فتح عهد سيؤدي ولا شك إلى الاهتمام للقطب وافتتاحه الفتحا أخيراً فوصل مع رفيقه جوهانسون في 7 نيسان (أبريل) إلى درجة 14 / 86 في شمال الأرض المعروفة بأرض فرنسيس يوسف ولكنه اضطر إلى الرجوع على أعقابها وتقدمت بعثة الدوق دي زليروز إلى أبعد من ذلك نحو الشمال فبلغ بعض أعضائها الدرجة 33 / 86 إلى شمالي أرض فرنسيس يوسف وقليلاً نحو الغرب من الجهة التي وصل إليها نانسن. ووصل الأمريكي في مارس 1906 إلى الدرجة 6 / 86 وكان بلغ سنة 1902 إلى درجة 17 / 87

وهذا جدول بأسماء البعثات إلى القطب وما تم فيها من التقدم منذ بدىء بإرسالها إلى عهدنا.

تاريخ البعثة أسم رئيس البعثة جنسيته أقصى ما وصلت إليه من درجات العرض  
الجهة

1553 شانسلوردورفوردووثوويلوغبي إنكليزا 70 / 71 شمالي أوروبا

1587 دافيس إنكليزي 20 / 72 بحر بافين

1594 بارننس هولاندي 55 / 77 زامبل الجديدة

- 1596 بارنتس هولاندي 11 / 80 سبتمبر غ  
 1607 هودسون إنكليزي 28 / 80 شرقي غرانا لندا  
 1773 فيس إنكليزي 48 / 80 سبتمبر غ  
 1806 سكورسي البكر إنكليزي 30 / 81 شرقي غرانا لندا  
 1817 سكورسي الفتى إنكليزي نحو 82 شرقي غرانا لندا  
 1822 سكورسي الفتى إنكليزي 83 شرقي غرانا لندا  
 1834 غراه دانيمركي إلى ما بعد 83 شرقي غرانا لندا  
 1876 ماركام أميركي 20 / 83 شمالي غرانا لندا  
 1882 سو كود أميركي 24 / 83  
 1895 نانسن نروجي 14 / 86 أرض فرنسيس يوسف  
 1900 كابي إيطالي 33 / 86 أرض فرنسيس يوسف  
 1906 بري أميركي 6 / 87 شمالي غرانا لندا

ومن الفوائد التي حدثت من السعي في اكتشاف القطب للعلوم ولا سيما للجغرافية  
 أننا عرفنا من بعثة نانسن أن رأس القطب الشمالي — ربما كان مقابلاً من الجهة  
 الثانية للقطب الجنوبي. مغطى من كل مكان يعثر قليل العمق ليس فيه إلا بعض  
 جزائر وأرض عظيمة ذات اتساع كبير هي غرانا لندا. وقد أثبت سفردروب وهو  
 صديق نانسن المخلص بعد بضع سنين أن الشاطئ الشمالي من غرانا لندا لوم يكن  
 يعرف منه إلى ذلك العهد غير قسم صغير — لا يمتد نحو الشمال. وقد قطع الدوق  
 دورليان سنة 1905 جزءاً من الشاطئ الشرقي الذي لم يعرف في شمال رأس  
 بسمرك. وأحدث الاكتشافات اكتشاف بري الذي أبان أنه يوجد في شمالي غرانا لندا

بحر عميق وتيار عظيم يذهب إلى الشرق. وتبين من البعثات إلى أرجاء شمالي القارة الأميركية بأن الشاطئ الشمالي الأميركي من الغرب متصل كل الاتصال ببحر القطب الذي يسمى هناك بحر بوفور على حين أن مجموع الجزائر الغربية الموجودة في الشرق تمتد ولا شك إلى أبعد من ذلك نحو الشمال نحو أكصر مما كان يظن حتى الآن. إذ قد شوهدت في شمالي أرض اكل هيرغ في انحل الآخذ نحو الشمال جزيرة جديد سموها أرض كروكر.

وبينما كانت الفوائد كثيرة مهمة من السعي في ارتياد الأرجاء القطبية خلال السنين الأخيرة في شمالي أميركا كان ما بذل من الجهاد في شمالي آسيا للوقوف على أسرار اخط المتجمد غير مثمرة أدنى ثمرة. وقد هلك سنة 1903 البارون تول الروسي الألماني ولم يبق أثراً وهو يحاول بلوغ أرض سانيكوف والغالب أنه هلك وأتباعه جوعاً.

ولقد حصرت دائرة الأرجاء القطبية التي لا تزال غير معروفة في دائرة ضيقة في غضون السنين الأخيرة بفضل الرحلتين نانسن وبري خاصة. وما برح القطب يغر كثيرين من أرباب الرحلات فقد مضت على الرحالة أندره الذي سافر يوم 11 يوليو 1897 من سيبتبرغ في منطاده إحدى عشر سنة ولم يأت خير عنه وربما لم يتعد أكثر من الدرجة الثالثة والثمانين من العرض وهو الذي ساق نفسه إلى الحنف هذا لم نقل إلى أن إقدامه على ما أقدم عليه كان من الجنون المطبق إن لم يكن الانتحار بعينه. وليس هو وحده الذي حاول أن يقطع ثلوج القطب في منطاد تخلصاً من ركوب البحر والمركبات التي لا عجل لها فقد حاول ذلك غيره كالأميركي ولان الذي أخفق في المرة الأولى ويحاول في الثانية بلوغ النجاح.

والآمال معقودة الآن بأن النجاح ينال بري وامندسون وتكتب أسماؤهم في سجل أعظم العاملين في خدمة العلم باكتشاف القطب وكلاهما الآن يُعد بعثة إلى تلك الأرجاء المتجمدة وسيسافر الأول هذه السفرة للمرة السابعة على باخرته ليبحث عن طريق ليزرغ القطب والناس يؤملون له الخير لأنه إبان رحلاته السابقة عن حذر عظيم وهمة عالية وكانت رحلاته مفيدة فكاد يبلغ الدرجة التي يرمي إليها لو لم يداهم الشتاء وتيارات الثلوج وإذا أسعده الحظ وبدونه لا يستطيع أكبر الرجال عقلاً أن يعمل عملاً يذكر — فإن سفرته ستكون بعد سنة مسفرة عن افتتاح القطب وإذا خانته الحظ أيضاً في رحلته هذه فإن رصيفه أمندسون النروجي الذي يعمل لهذا القصد منفرداً سيحني ثمار هذا المظفر أول الجانبين من الناس. وللأمير كان والنروجيين في الثلاثين سنة الأخيرة يد في السعي لاكتشاف القطب. ويرجى أن يكون لامندسون ثمرة النجاح بعد بري إذا أخفق هذا. وبعثنا هذين الرجلين هما أهم البعثات الأخيرة وأغناها وأنفعها ويؤمل أن تنحل بمها هذه المشكلة التي شغلت بال الناس أعواماً وقروناً.

#### التأليف في الملوك

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لإشراف نفوسهم الملكية على علو قدره وجلالة أمره فمنهم من كان يرغب فيه ويقرب أهله ويسعى في نشره. ومنهم من اشتغل به وسعى في تحصيله حتى فاز بحظ وافر منه. ومنهم من زاد على ذلك فألف فيما عُني به من العلوم غير أن المؤلفين فيهم قليلون لمنع شواغل تدبير المملكة والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات من التفرغ للتأليف. ومن الملوك الذي ألفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن. وفي الكثير من خزائن الكتب شيء من